الاستلزام الحواري في رواية "خيط الدم" لجمال أبو حمدان وفق تداولية غرايس

هناء عمر خليل *

Hanakhalil78@hotmail.com

تاريخ تقديم البحث: 2023/10/18 **تاريخ قبول البحث: 2023/12/13**

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة الاستلزام الحواري في رواية "خيط الدم" للكاتب الأردني جمال أبو حمدان وفق تداولية غرايس، من خلال تناول الأساليب الحوارية وتحليلها تحليلاً تداولياً بالوقوف على مبدأ التعاون الذي أقرّه (بول غرايس (Paul Grice)، وتحديد المسلمات الأربعة له، وهي: الكم، والنوع، والملاءمة، والجهة، ثم دراسة الخرق الناجم عنها في ضوء السياق الذي ينتجها. وقد سار البحث عل المنهج التداولي بوصفه منهجاً لسانياً حديثاً يسعى إلى دراسة النصوص الأدبية وغير الأدبية ضمن السياق مع الأخذ بعين الاعتبار أطراف المرسلة الحوارية، سواء أكان الحوار بين شخصين أو بين عدة أشخاص، وكان من أهم ما توصل إليه البحث هو ثراء النص الروائي بالانتهاكات الحوارية لقانون غرايس نظراً لما يحمله من خاصية العمل الدرامي الذي يقوم أساساً على الحوار، بالإضافة إلى تعدد المواقف الفكرية والاجتماعية للشخصيات المتحاورة.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام الحواري، التداولية، خيط الدم، الكم، النوع، السياق.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسراء، عمان، الأردن.

The Application of Conversational Implicature in the Novel "Thread of Blood" by Jamal Abu Hamdan Based on Grice's Theory

Hana Omar Khalil *
Hanakhalil78@hotmail.com

Submission Date: 18/10/2023 **Acceptance Date: 13/12/2023**

Abstract

This attempts to investigate Conversational Implicature in the novel "Thread of Blood" by the Jordanian writer Jamal Abu Hamdan. It explores the four maxims of conversation, namely, quality, quantity, manner, and relation, and analyzes them pragmatically employing the Cooperative Principle proposed by Paul Grice. The study also addresses the violation of maxims in light of the context presenting these maxims. Pragmatics as a recent linguistic approach is employed in this study. It aims at studying literary and non-literary texts within the context, considering the parties interacting within a paired or group conversation. One of the most significant findings of this study is the enrichment of narrative text with dialogic violations of Grice's maxims due to its inherent dramatic quality based primarily on dialogue. In addition, there is a multiplicity of intellectual and social positions among the interacting characters.

Keywords: Conversational Implicature, Pragmatics, Thread of Blood, quantity, quality, context

* Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Isra'a University, Jordan.

المقدمة

تعد نظرية الاستلزام الحواري من أهم الأدوات التي تناولتها التداولية في مقاربة النصوص الأدبية وغير الأدبية، لما لها من دور مهم في ربط المقولات اللغوية بالسياق الذي يجري فيه الكلام بين أطراف المرسلة الكلامية. وعليه فإن هذه المشكلة الأساسية في هذه الدراسة تتمثل في معرفة قواعد هذه النظرية ومدى تطبيقها على رواية "خيط الدم" لجمال أبو حمدان، ودراسة مساهمتها في استنطاق المقولات الضمنية للبنى الحوارية في النص الروائي، ومن ثم معرفة الطابع الحواري العام لرواية "خيط الدم" من حيث التزامها بمبدأ التعاون، أو تجاوزها عنه.

وتجدر الإشارة إلى أن الهدف الأساسي الذي تطمح إليه الدراسة هو تفسير قواعد غرايس (Grice) الأربعة المؤسسة على مبدأ التعاون، بالإضافة إلى دراسة مواضع خرق هذه القواعد وتحديد أسبابها، والكشف عن الدلالات غير المنطوقة من خلال السياق الذي يؤطرها جميعاً. من هنا تكمن أهمية الدراسة في تحديد الوظيفة التداولية التي يؤديها الاستلزام الحواري في رواية "خيط الدم"، وذلك من خلال دراسة بُعدين أساسيين؛ الأول يعتمد على الالتزام بمبدأ التعاون، والثاني؛ يعتمد على مواطن خرق قواعد هذا المبدأ، مع تحديد الخاصية النصية العامة لبنية الحوار في الرواية.

وقد تعددت الدراسات التي تناولت نظرية الاستلزام الحواري، سواء ما كان منها مرتبطا بالأجناس الأدبية؛ من شعر، ورواية، ومسرحية، أو ما كان منها مطبقاً على نصوص غير أدبية؛ مثل مواقع التواصل الاجتماعي، والأمثال الشعبية وغيرها. وفي ما يأتي أهم الدراسات ذات الصلة بمادة البحث.

- محمود، محمد شاكر محمد، وإبراهيم، إيهاب سعيد إبراهيم، "الاستلزام الحواري في مسرحية (مجنون ليلى) لأحمد شوقي- دراسة تداولية"، مجلة *بحوث كلية الآداب*، المجلد الثلاثون، العدد المئة والسابع عشر، 2019. طبق فيها المؤلف نظرية الاستلزام الحواري على فن المسرحية بوصفها واحدة من أهم الأنواع الأدبية التي تعنى بالصيغة الحوارية، حيث تحوي المسرحية أطرافاً متعددة من الحوار من جهة، وما تحتويها نصوصهم من قضايا تدفعهم إلى تضمين حواراتهم الكثير من المعاني غير الصريحة من جهة أخرى.
- مناعي، البشير، ووشن، دلال، "تداولية الاستلزام الحواري في الخطاب السردي- دراسة للاستلزامات الحوارية في الأساليب الخبرية في رواية "الدراويش يعودون إلى المنفى" لإبراهيم الدرغوثي، مجلة *الأثر*"، العدد الثامن والعشرون، 2017. تناولت الدراسة ظاهرة الاستلزام الحواري بوصفها من أبرز

الظواهر التي تميز اللغات الطبيعية في الرواية آنفة الذكر، وخلصت إلى أن الأساليب الخبرية لم ترد للوصف أو التقرير، وإنما تجاوزت ذلك إلى معانٍ استلزامية حوارية تفهم من السياق.

- لهويمل، باديس، "الاستلزام الحواري في الدرس التداولي- تنظير وتطبيق"، مجلة *جسور المعرفة*، المجلد الخامس، العدد الرابع، 2019. هدفت الدراسة إلى إبراز أهمية الاستلزام الحواري في الدرس التداولي من خلال تأكيد القول بأنه جزء لا يتجزأ من معنى الكلام، وتناولت نماذج تركيبية من الخطاب اليومي ومن القرآن الكريم لتوضيح كيفية حدوث الظاهرة والاستدلال عليها.
- سعاد، ميرود، "الاستلزام الحواري في سورة "طه"- تحليل تداولي وفق نظرية غرايس"، *المدوّنة*، المجلد الخامس، العدد الأول، 2018. هدفت الدراسة إلى تطبيق الاستلزام الحواري في سورة طه، نظراً لما تتميز به السورة من إيراد البنى الحوارية مع إظهار مقاصد المتحاورين، إبراز ظروف إنتاج المعنى ككل.

أولاً: تأسيس نظريّ

جاء في لسان العرب تحت مادة (لزم): "لزم الشيء يلزمه لزماً ولزوماً.. ويلزم الشيء فلا يفارقه"[1]. فاللزوم واللزوب كلتاهما جاء بمعنى واحد، وهو عدم مفارقة الشيء، أما الاستلزام مصدر (استلزم) (استفعل)، فالأصل فيه الدلالة على الطلب والاستدعاء.

أما الاستلزام اصطلاحاً: فهو أقرب في مفهومه إلى معنى "الانتقال" عند المناطقة، "إذ نقول: لزم شيء من شيء؛ أي تولد منه بنقلة مخصوصة"[2]، وهذا متحقق عندهم في الدلالة من جهة النقلة بالحكم بالمحسوس وهو "أن نعلم بالحسّ أنّ أمراً ما بحال ما، وأن شيئاً موجودٌ لأمر ما، فينقل الذهن تلك الحال أو الشيء من ذلك الأمر إلى أمر آخر شبيه به، فيحكم به عليه"[3]. ويقترب هذا المفهوم عند أهل

(1) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م)، *لسان العرب*، ط3، دار صادر، بيروت، 1994، ج12، ص541.

(2) عبد الرحمن، طه، *اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي*، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1998، ص88.

(3) جبر، فريد، والعجم، رفيق، ودغيم، سميح، وجهامي، "جيرار"، *موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب*، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص1067.

البلاغة بمصطلح العدول، الذي ينتقل فيه المتكلم من الدلالة الوضعية للفظة إلى دلالة أخرى مرتبطة بها، كدلالة الأسد على (عليّ) مثلا، ليذهب إلى الذهن معنى الشجاعة المتصل بها.

ويعرف الباحث طه عبد الرحمن الاستلزام الحواري بأنه "عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية"[1].

ويعرف محمود عكاشة الاستلزام الحواري بأنه "المعنى المستفاد من السياق، ويعد من أهم المبادئ البراجماتية اللسانية (التداولية)، ويعني أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية، وسلامة القول وقبوله من قائله وملاءمته مستوى الحوار"[2]. ويعني التعريف السابق أن التواصل الحواري الفعال لا بد له من الاحتكام لقانون عام يحكمها، غير أن دلالات الكلمات والعبارات لا يمكن فهمها إلا من السياق الذي ترد فيه، فالاستلزام هنا هو الدلالة المتحصلة من حوار الشخصيات انطلاقاً من السياق الذي يجمعها لا بمبدأ القاعدة العامة لأسس الحوار.

ويعد السكاكي من أهم البلاغيين القدامى الذين تناولوا ظاهرة الاستلزام الحواري في حديثه عن "الخبر" في باب المعاني، وذلك عندما نوّه إلى الخبر الأصلي وأنواعه: الابتدائي، والطلبي، والإنكاري على وفق معرفة المتكلم بأحوال المتلقين وظروفهم. كما تطرق إلى المعنى المستلزم عندما بين أن الخبر قد يأتي خلاف مقتضى الظاهر لمّا قال: "ثم إنك ترى المفلقين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام لا على مقتضى الظاهر كثيراً، وذلك إذا أحلّوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية، وبلازم فائدتها علما محلّ الخالي الذهن عن ذلك لاعتبارات خطابية، مرجعها تجهيله بوجوه مختلفة"[3]. وتحديد هذه الأوجه الخطابية يعود في المقام الأول إلى السياق الذي يُنتج فيه الكلام من جهة، وإلى أحوال المتحاورين من جهة أخرى.

ويأتي مصطلح الاستلزام الحواريّ(conversational implicature) لصيقا بلسانيات الخطاب التي أخذ معها البحث اللساني منحى متميزاً، فجاء تركيزه على عملية التخاطب اللغوي آخذاً بعين الاعتبار

(1) عبد الرحمن، *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*، ص103.

(2) عكاشة، محمود، *النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)–دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ*، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013، ص86–87.

(3) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي(ت626هـ/1229م)، *مفتاح العلوم*، تحقيق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص271–272.

جميع الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب. وقد ظهر هذا المفهوم مع الفيلسوف الأمريكي (بول غرايس) (Paul Grice) الذي حاول أن يؤسس نحواً قائماً على تداولية للخطاب، ومعتمدا على أن التأويل الدلالي للعبارات لا يقتصر على صورتها المباشرة، وإنما ينحصر التأويل في الأشكال الآتية[1]:

أ- معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقته بمستمع.

ب- المقام الذي تنجز فيه الجملة.

ج- مبدأ التعاون (Cooperative principle).

وعليه، فقد ميز غرايس (Grice) بين نوعين من الدلالة: الأولى: الطبيعية وهي غير قصدية، أي أنها لا تفترض قصدا من قبل أي كان، والثانية: غير الطبيعية، وهي قصدية؛ لأنها تفترض مقصدية المتكلم، وهذه الأخيرة لا تستخدم قصداً واحداً، وإنما قصدين "قصد إحداث أثر في المخاطب، وقصد أن تتم الاستجابة لهذا القصد الأول بفضل تعرف المخاطَب القصد الأول"[2]. ويتضح من ذلك أن حقيقة التخاطب اللغوي بين أقطاب المرسلة الكلامية ينبغي أن تحقق أهدافها من خلال إحداث ديناميكية لغوية تستند بالدرجة الأولى إلى المقام ومن ثم إنجاز المقصد الذي ينبني عليه الكلام.

وانطلاقا ممّا سبق، فإن الدلالة الطبيعية عند غرايس (Grice) هي تلك الدلالة التي تملكها الأشياء في الطبيعة، فالدخان يدل على النار، أما الدلالة غير الطبيعية فتملكها كلماتنا وعباراتنا وبعض أفعالنا وإيماءاتنا أيضاً[3]، فدلالة الدخان على النار مثلاً مرتبطة بظواهر طبيعية لا تحتاج إلى تأويل أو قصد، ولا يراد منها تحقق تواصل، وفي المقابل لو قال زيد لعمرو مثلاً: (إن غرفتك زريبة خنازير)، فإنه يقصد أن غرفة عمرو متسخة وغير منظمة، وهذه الجملة تحتاج إلى إبلاغ وتأويل أيضاً، ويقصد فيها القائل إظهار نواياه وإيصالها إلى المخاطب ليفهمها، ومن هنا يتحقق التواصل اللغوي بين أقطاب المدونة الكلامية.

(1) أدراوي، العياشي، *الاستلزام الحواري في التداول اللساني*، ط1، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، ص18.

(2) روبول، آن، وموشلار، جاك، *تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب*، ترجمة لحسن بوتكلاي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2020، ص206.

(3) يُنظر: إسماعيل، صلاح، *نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس*، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص40.

وانطلاقاً من تحديد المقارنة بين الدلالتين الطبيعية وغير الطبيعية، بنى غرايس (Grice) الاستلزام الحواري على المبدأ التعاوني[1] الذي صاغ حدوده في ما يأتي: "اجعل مساهمتك في الحوار بقدر ما هو مطلوب، مراعياً الظرف الذي تجري فيه، والغاية أو الاتجاه الذي يقود مسار التحادث الذي أنت منخرط فيه"[2].

ولكي يحقق المتكلم هذا المبدأ، جمع غرايس (Grice) أسسه في فئات أربعة، هي[3]:

1- قاعدة الكمّ (Maxim of quantity): ترتبط بمقدار المعلومات التي يفرزها الخطاب اللغوي، وأساسها التلفظ بقدر الحاجة دونما زيادة أو نقصان.

2- قاعدة النوع(Maxim of quality): الالتزام بالصدق في نقل الكلام، وشواهد الصدق عدم التلفظ بقول يعتقد المتكلم خطأه، وعدم التلفظ دون الإتيان بدليل يثبت صحة القول.

3- قاعدة العلاقة(Relation) أو الملاءمة(Maxim of relevence): تستدعي من المتكلم أن يجعل كلامه مناسبا، وذا علاقة بالموضوع والمقام معا.

4- قاعدة الجهة (أو الطريقة) (Maxim of manner): وتتطلب من المتكلم الإيجاز والإفصاح، والاحتراز من الغموض والالتباس، وترتيب الكلام وتنسيقه.

يلحظ أن المنهج الذي أراد غرايس (Grice) اتباعه يقوم على أسس مثالية معيارية، تؤطر لأصول الحوار المباشر الذي يسعى إلى "تحقيق الفعالية القصوى لتبادل المعلومات بين أطراف المحاورة؛ أي تحقيق تواصل مثالي وشفاف"[4]، فما وافق هذه المعايير السابقة فيكون ملتزماً بمبدأ التعاون التداولي، وما

(1) تجدر الإشارة أن مصطلح (مبدأ التعاون) اتخذ مسميات شتى لدى الباحثين العرب، والسبب في ذلك اختلاف الترجمات وطبيعة الكتاب الذي تناول هذا المفهوم، فمنها القواميس، ومنها كتب أصلت للتداولية، ومن أهم هذه المصطلحات: القواعد، والمبادئ، وحكم الحديث، وقوانين الخطاب، والمسلّمات. يُنظر: قدور، رندة، وابن أحمد، محمد، "الاستلزام الحواري قراءة في تعدد المصطلحات"، *إشكالات في اللغة والأدب*، جامعة تامنغست، الجزائر، م10، ع1، 2021، ص83.

(2) رحماني، محمد قويدر، ووكال، فاطمة، "الاستلزام الحواري من لغة المنطق إلى المنطق اللغوي"، *المدونة*، كلية الآداب واللغات، جامعة البليدة2، الجزائر، م8، ع3، 2021، ص2309.

(3) يُنظر: يامنة، سامية، *تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي*، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، 2019، ص237.

(4) بدوح، حسن، *المحاورة: مقاربة تداولية*، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2012، ص162.

تجاوزه أو تخطاه فقد لجأ إلى ظاهرة الاستلزام الحواري، الذي يروم إلى تضمين مقولات استدلالية يشير إليها أحد أطراف العملية الحوارية دون أن يصرّح بها، فتأتي البنية العميقة للنص الأدبي محمّلة بمثل هذه الإشارات الاستدلالية تدعو القارئ إلى التقصي عنها ومكاشفتها.

خصائص الاستلزام الحواري:

وفقا لنظرية غرايس (Grice)، فإن الاستلزام الحواري يتصف بمجموعة من السمات، وهي[1]:

1- الاستلزام قابل للإلغاء: ويحدث ذلك عادة بأن المتكلم يضيف قولا يسدّ الطريق أمام المخاطَب، وهو في طريقه نحو الاستلزام، أو يحول دونه، فمثلاً، لو قال قائل: "لم أزر كل العواصم العربية"، فقد يستلزم ذلك معنى أنه زار بعضها، فإذا أردف عبارة: "الحق أنني لم أزر أيّا منها"، فقد ألغى الاستلزام، وإمكان الإلغاء هنا هو أهم فارق بين المعنى الصريح والمعنى الضمني.

2- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي: والمقصود به أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يُقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها، ومثال ذلك الحوار بين شخصين:

(أ): لا تصرخ في وجهي.

(ب): أنا لا أصرخ في وجهك، وإنما أعبّر عن وجهة نظري بصوت واضح.

فعلى الرغم من تغير الصياغة في قول (ب)، فإن ما يستلزمه القول من عدم الرضا لدى قول (أ) ما يزال قائما.

3- الاستلزام متغيّر: أي أن التعبير الواحد قد يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فعلى سبيل المثال، لو قيلت عبارة: "هل نجحت في الامتحان؟" للاستعلام عن أمر نجاحه فهو هنا حقيقي يتطلب الإجابة عنه إيجاباً أو نفياً، ولو قيلت العبارة نفسها لشخص تعلم مسبقاً أنه لا يمكن أن ينجح لإهماله، فقد خرجت إلى معنى التحقير أو السخرية. وهذه الخاصية قريبة جدا من المعاني البلاغية التي تخرج إليها الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية.

4- الاستلزام يمكن تقديره: أي أن المخاطِب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام. وينطبق ذلك على الاستعارة والمجاز والكناية في البلاغة، فلو قلنا مثلاً: "قلب فلان حجر"، فإن القرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عما وراء الكلام من معنى،

(1) نحلة، محمود أحمد، *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2011، ص38-39.

فيستنتج دلالة القسوة أو الخلو من الإحساس، لأن طبيعة مبدأ التعاون لا تقبل الخداع والتضليل لدى الطرف المستمع.

وستقوم الدراسة بمقاربة الاستلزام الحواري في رواية خيط الدم للكاتب الأردني جمال أبو حمدان، وهي رواية قصيرة كُتبت في فترة الحرب الأهلية في البوسنة، وبُعيد انتهاء الحرب الأهلية في لبنان، ثم نُشرت بعد ذلك بسنوات، وتحكي فيها قصة كل من البوسني المسلم (مولى)، واللبنانية المسيحية (هالة) بعد لجوئهما إلى باريس للإقامة فيها هروباً من الحرب في بلديهما، وتبدأ علاقتهما تتوطد وتتطور إلى أن يقع كل منهما في حبّ الآخر، وتبدأ بعدها قصة صراعهما مع عائلتيهما. وهذه الرواية –على قصرها– إنما كتبت في الأساس بقصد تحويلها إلى عمل سينمائي، ممّا جعلها تزدحم بالبنى الحوارية، فتطور الأحداث والكشف عن مقومات الشخصيات ظهر من خلال الحوار الدائر بينها، الأمر الذي يعد هذا النوع من الروايات خير نموذج يصدق على دراسته وفق الاستلزام الحواري ومقاربة مبدأ التعاون فيه.

ثانياً: مبدأ التعاون وحُكم التخاطب

يقوم قانون مبدأ التعاون عند غرايس (Grice) على احترام أسس التواصل الفعّال بين أقطاب المرسلة الكلامية، ولتحقيق هذا القانون يرى غرايس (Grice) أن الخطاب "نشاط مقنن يخضع إلى قواعد، والمشاركون في الخطاب يحترمون مبدأ التعاون"[(1)]، انطلاقا من البنية النصية للمتن الحواري، ممّا يجعل الوصول إلى مقصدية البناء الفني واضحة ومحددة.

ويتمثل مبدأ التعاون في ضرورة تقبل أطراف الخطاب الرسالة اللغوية وإدراك دلالاتها المباشرة، وهذه الفكرة عند غرايس (Grice) جاءت "لجعل المتكلم المسهم في المبادلة الكلامية يمتلك وظيفة امتداد الحديث، ويمسك إدارة الكلام"[(2)]، بما يتواءم مع مقصدية الرسالة، واحترام الوقت المناسب للحوار، والوضوح، ومراعاة سياق الحال والظروف التي أنتجت الخطاب، حتى يؤدي الخطاب غايته من التبليغ والتواصل البنّاء.

(1) بوجادي، خليفة، *في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم*، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص79–80.

(2) بوخشة، خديجة، "الاستلزام الحواري في رواية "نبضات آخر الليل"– مقاربة تداولية"، *فصل الخطاب*، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، م7، ع26، 2019، ص9.

وتضطلع رواية "خيط الدم" بأقوال حوارية كثيرة؛ ذلك لأنها تعكس طبيعة العلاقة بين الشخصيات المتخيلة وتفضي إلى طريقة أفكارهم وآرائهم في الواقع الذي يعيشونه، ولما كان الجنس الروائي يسمح بتضمين أقوال حوارية في متنه ينشأ من ذلك تخلّق دلالات صريحة وأخرى ضمنية على لسان الشخصيات المتحاورة. أما الدلالات الصريحة للاستلزام الحواري القائم على احترام مبدأ التعاون فتظهر في بداية الرواية لحظة تعارف بطلي الرواية: (مولى حسانوفيتش)، و(هالة الصافي) المغتربين عن وطنهما في مدينة باريس، ومثال ذلك:

"سألته: منذ متى أنت في باريس؟

أجاب: منذ سنة وأشهر... وأنت؟

أجابت: منذ زمن طويل. أكثر من سبع سنوات"[1].

يؤطر الحوار السابق مبدأ أصيلا من مبادئ التعاون، إذ يكشف سؤال (هالة) عن رغبة في معرفة مدة إقامة (مولى) في باريس، فأشفعها بإجابة واضحة ومحددة، وبالمثل فإن تبادل السؤال بسؤال موجه لـ(هالة) من قبل (مولى) يقصد به الرغبة نفسها، وإن كان جوابها في البدء معمما إلا أنها خصصته بمدة زمنية تكشف عن طول مدة إقامتها في باريس قياسا بمدة إقامته. وعليه، فإن مثل هذا الحوار يخدم الفكرة التي ينطلق منها مبدأ التعاون، فهو مبدأ حواري يقوم على "أن يجعل المخاطب مشاركته في الخطاب على النحو الذي يتطلبه القصد من الخطاب والحوار، بمعنى أن يكون تدخل المتكلم في الحوار مطابقاً للغرض الذي يقتضيه من الحوار الذي دخل فيه في مرحلة مشاركته"[2]. والملاحظ في الحوار السابق أنه فاتحة نصية لسلسلة من الحوارات المتتابعة بين بطلي الرواية، إذ يكون أحدهما البادئ بالسؤال ليكون الطرف الآخر متلقياً مجيباً بدقة مع طرح السؤال عينه، وهذا النمط الحواري يمهد لتوثيق الرابطة الحميمية بين الشخصيتين، كما أنها تعد التأسيس النصي للحوادث التي تصيب كلا منهما وطبيعة علاقتها مع الشخصيات الأخرى.

ويظهر حوار البطل (مولى) مع والدته مثالا نموذجيا لمبدأ التعاون الحواري القائم على التزام أحكام الخطاب، إذ يتخذ فيه الحوار صيغة إخبارية يبدأ فيها المتكلم بعبارة ويرد عليه الآخر بعبارة توضح

(1) أبو حمدان، جمال، *خيط الدم*، وزارة الثقافة، عمّان 2018، ص11.

(2) لهويمل، باديس، "الاستلزام الحواري في الدرس التداولي تنظير وتطبيق"، *جسور المعرفة*، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، م5، ع4، 2019، ص150.

فهم مقصود الأول، وذلك من خلال اتخاذ العبارة الأخيرة للمتحاور الأول لازمة يبدأ بها المتحاور الثاني ليزيد من تأكيد الفكرة نفسها، على نحو ما نجد في المثال الآتي:

"نظرت إليه: غدا...أي غد.. لم يعد أمامي غد... كل ما بقي من استرجاع ذكرياتي المرّة.

تبسم لها، وهمس: المرّة الحلوة. كانت لك ذكريات حلوة أيضا.

غصت بالقول: قبل هذه الحرب البشعة.

تمتم: كل الحروب بشعة.

قالت: هذه أبشعها.

أكمل: لأنها نالتنا نحن"[1].

يتكئ الحوار السابق على صيغة استدلالية مفهومة مسبقا لدى طرفي الحوار وهي صعوبة العيش في باريس والحنين الدائم لبلدهما الأصل(البوسنة)، وفي هذا الاتفاق المسبق تعزيز وتأكيد على استمرارية المقصد التداولي، فرغبة الأم الجامحة حول حلم العودة لا تقل عنها في باطن ابنها، غير أن أسلوب المناورة الحوارية لدى (مولى) جاء في سياق المواساة وتذكير الأم بضرورة التعايش مع الواقع الأليم الذي يعيشانه.

وتلعب ألفاظ مثل (غد)، (المرّة)، (بشاعة الحرب) دوراً واضحاً في توحيد الفكرة لدى الطرفين وإن كانت عند الابن (مولى) أكثر انفعالية وحميمية؛ لأنها مرتبطة بموقف الصمود ومحاولة القبول بالأمر الواقع، فبينما كان موقف الأم انهزاميا جاء موقف الابن متحدياً رافضاً فكرة الانهزام، وهذا ما يدلل على أن المحاورة "ليست مجرد سلسلة من التعاليق المتفككة، بل هي ثمرة لجهود تعاون مبذولة من قبل المتكلم والسامع على حد سواء، تقوم على استلزامات ضمنية تحادثية، أو قل على شبكات استنتاج غير استدلالية منطقية"[2]. كما أن الحوار السابق يؤكد التزامه بقواعد مبدأ التعاون ولا سيما مبدأ الملاءمة (العلاقة)، فهو مختصر، ملتزم بسياق المقام، منظم في انتقاء ألفاظه وتراكيبه.

وقد يكون قانون التخاطب هنا مندرجا تحت ما يسمى بالاستلزام العُرفيّ، وهو استلزام ثابت قائم على "ما تعارف أصحاب اللغة من لزوم بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات

(1) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص20.

(2) بوقمرة، عمر، "قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن–دراسة نقدية"، *أمارات في اللغة والأدب والنقد*، كلية الاداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، م5، ع2، 2021، ص44.

وتغيرت التراكيب"[1]، وفي رأينا أن هذا النوع من الاستلزام يدخل ضمن حدود قانون مبدأ التعاون الذي أقره غرايس، على الرغم من أن عددا من الباحثين عدّه النوع الأول للاستلزام الحواري القائم على خرق مبدأ التعاون، ودليلنا على ذلك أن هذا النوع يوظف كلمات أو عبارات معينة لها وظيفة نحوية تلفت السامع أو القارئ إلى اختلاف المعنى أو توجهه إلى معنى آخر مغاير لما ورد في المعنى الأول، ومثل هذا التوظيف النحويّ –وإن كان يحقق معنيين متغايرين– إلا أنه استلزام ثابت لا يتغير بتغير السياق، وهو يتعارض بذلك مع قاعدة الاستلزام وخصائصه في كونه متغيراً بتغير السياق وأحوال المتكلمين.

ومثاله ما ورد في الحوار الذي دار بين هالة ووالدها عندما علم بأمر علاقتها بمولى:

"لا أمانع أن يكون لك صديق، هذا أمر طبيعي، ولا بد أن تجدي صديقا وتتزوجان، أوافق على من تختارين

– تمتمت: وقد اخترت

اهتاج: غير هذا المسلم. لا يمكن. لن أسمح بهذا أبدا... إن لم تنه علاقتك به. أقتلك، أنا وأخوتك نقتلك. أمك قتلتها رصاصة مسلم في بيروت. وكان الأمر شاقا علينا. لكنها ماتت طاهرة. لم تتلوث كما تتلوثين أنت..."[2].

يظهر الاستلزام العرفي على صيغة الأساليب الخبرية بين هالة ووالدها، وفيه يبدي الأب وجهة نظر ثابتة تتعلق برفض فكرة زواج ابنته من مسلم، وبالمثل تبدي هالة رفضاً واضحاً لرأي أبيها، وهنا ينشأ الصراع الفكري والعقدي بينهما مولداً سلسلة من الأقوال اللغوية ذات الدلالة الواضحة والمباشرة. أما الاستلزام العرفي هنا فيظهر من خلال توظيف أسلوب الاستثناء التام في قول الأب غير هذا المسلم، وهو أسلوب نحوي معروف بإخراج حكم ما بعد (غير) عما قبله، إذن فهو استلزام ثابت لا يتغير بتغير السياق أو بتغير الشخصيات المتحاورة وظروفها.

ويظهر كذلك توظيف (لكن) في قول الأب عندما أشار إلى ظروف مقتل والدتها على يد مسلم، ليؤكد وجهة نظره في المسلمين بأنهم قتلة إرهابيون، ثم يردف ذلك بصيغة الاستدراك التي تحققها (لكن)

(1) عبد الباقي، عباس محمد، وأحمد جمال الدين إبراهيم، "تحليل الخطاب في اللسانيات الحديثة– المقاربة التداولية نموذجا"، *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*، م10، ع2، 2021، ص138.

(2) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص78.

ليثبت طهر أمها وعفافها، ويعقد من هذه الصيغة مقارنة بين الأم وابنتها، في أن الأولى ماتت شريفة برصاص الحرب، بينما ستموت الثانية برصاص والدها دفاعاً عن الشرف والدين.

وتأسيسا على ما سبق، نجد أن قانون احترام مبدأ التعاون، والاستلزام العرفي كلاهما يعد من القواعد الثابتة في الأقوال اللغوية التي تخدم ظاهر اللغة، على اختلاف أدواتهما، فهي في النوع الأول احترام لقواعد الحوار الأربعة (الكم)، و(النوع)، و(العلاقة)، و(الملاءمة)، وهي في الثانية احترام لقواعد النحو الثابتة، وهذا ما يجعل من كلا النوعين حكم ثابت في الحوار لا يمكن إلغاؤه في حاضر النص اللغوي، ولا يمكن تغييره بتغير السياق وظروف إنتاجه.

ثالثا: الاستلزام الحواري القائم على خرق مبدأ التعاون

ينشأ خرق مبدأ التعاون لدى غرايس (Grice) من ضبابية العلاقة بين ما (يقال) وما (يُقصد) "فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال"[1]. من هنا تبدو الأهمية بمكان توطيد العلاقة بين أقطاب المرسلة الكلامية بما يقتضيه السياق، وبما تتضمنه العبارات من معان قصدية تتراكم في البنية العميقة للنص الحكائي.

وانطلاقا من ذلك، فإن الرواية بوصفها فنا إبداعيا تتجاوز قراءتها مستوى الصورة السطحية المباشرة للألفاظ لتحلق في أفق التأويل وإعادة القراءة للإمساك بمقصدية المتكلم وفهم رسالته من خلال السياق الذي تجري فيه العبارات، "فالقراءة ليست غاية في حد ذاتها، إنما هي وسيلة لبلوغ غاية أسمى واستلزامات أعمق توصلنا إليها الحكايات المتناسلة داخل الرواية الواحدة"[2]. وتتعدد هذه الانتهاكات الحوارية في رواية "خيط الدم"، سواء تلك التي تجمع بطلي الرواية (مولى) و(هالة)، أو تلك التي تجمع بين هالة وأفراد أسرتها، أو بين مولى ووالدته، لتصل بذلك إلى حدود من الفهم لا يمكن تلقيها إلا من خلال فهم مقصدية المتكلم ومدى تقبل السامع واستجابته.

(1) نحلة، *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، ص34.

(2) مناعي، البشير، وشن، دلال، "تداولية الاستلزام الحواري في الخطاب السردي، دراسة للاستلزامات الحوارية للأساليب الخبرية في رواية الدراويش يعودون إلى المنفى لإبراهيم الدرغوثي"، *مجلة الأثر*، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع28، 2017، ص155.

(1-1) خرق قاعدة الكم

وقوام هذه القاعدة هو: اجعل مساهمتك تتضمن أخبارا كافية، ولا تجعل مساهمتك تتضمن أخباراً أكبر مما هو مطلوب، وعلى الرغم من أن غرايس (Grice) رأى بإمكانية تفنيد القاعدة الثانية، إلا أنه قدّم سببا غير مقنع لتسويغ وجهة نظره، فهو يرى بأن توافر كم كبير لا يخرق مبدأ التعاون، وإنما هو مضيعة للوقت فقط، "فإذا تضمن نص ما تفاصيل كثيرة فإن ذلك يهدد التواصل بالانسياق خلف بعض الجزئيات غير الضرورية"[1]، والحق أن النصّ الروائي يمتلك خصوصية في بناء الحوار، إذ إنه وسيلة لطرح أكبر قدر ممكن من المقولات اللغوية التي تحمل دلالات متنوعة بحسب الشخصيات المتحدثة ومعتقداتها وأفكارها، فالأسئلة التي يتم طرحها من قبل المتكلمين لا تحتاج إجابات محددة وواضحة حتى ينطبق عليها مبدأ التعاون، وإنما هو ذريعة لفتح آفاق أعمق في الرؤى وأسلوب التفكير، أو حتى تكون بداية لازمة لقضية مهمة يريد الكاتب معالجتها في نصه الأدبي.

ويتخذ الخرق في قاعدة الكمّ بعدين اثنين: الأول خرق ينم عن زيادة في الإجابة عن السؤال الذي يطرحه المتكلم، لفائدة ضمنية تفهم من سياق الكلام، والثاني خرق ينم عن نقصان مخلّ للإجابة عن السؤال الذي يطرحه المتكلم لفائدة دلالية تفهم من السياق أيضاً. ويُلحظ أن الخرق الناتج عن الزيادة يتمثل في حوارات البطلين (مولى)، و(هالة) ولا سيما بعد أن توطدت علاقة كل منهما بالآخر، وكذلك في حوار (مولى) والدته، ولا سيما في موضوع تعريف البطل بحبيبته لأمه، أما الخرق الناتج عن النقصان فتكاثفت بصورة ملحوظة في حوارات (هالة) مع أبيها وأخويها ولا سيما بعد انكشاف علاقتها بـ(مولى) ورفض عائلتها لهذا النوع من العلاقة.

ويمكن أن نمثل على النوع الأول من الخرق بالحوار الذي دار بين (مولى) ووالدته والذي جاء في سياق تعريف أمه بهالة صديقته الجديدة:

"سألته: بوسنية؟

قال: لا، لبنانية، اللبنانيون أيضاً مروا بحرب فاجعة، وهي وأهلها هُنا هرباً من تلك الحرب.

دمدمت أمه: مرّت بحرب..ولم تُغتصب أو تقتل! حربهم أرحم من حربنا.

(1) ختام، جواد، *التداولية أصولها واتجاهاتها*، ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2016، ص101.

قال: غيرها قُتلن، وسترين كم هي رقيقة وعذبة...عندما تتعرفين بها ستغيرين فكرتك عن المسيحية"[1].

تؤسس الزيادة الكمية للسؤال الذي طرحته الأم نوعين من الحمولات الدلالية: صريحة، وضمنية، أما الصريحة فتتخذ بعدين اثنين بحسب طبيعة الاستلزام الحواري:

(1) المحتوى القضوي: ويقصد به مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

(2) القوة الإنجازية الحرفية: وتتمثل في القوة الدلالية التي تشير إليها عن طريق أدوات مثل: الاستفهام، الأمر، النهي، وغيرها[2].

فلو نظرنا إلى سؤال الأم عن بلد صديقته، نجده يجيب إجابة مباشرة بالنفي، ثم يردف بلدها الأصلي (لبنان)، وفي هذه الإجابة حقق النص الحواريّ مقصده من الحمولة الدلالية المباشرة، إذ توافرت العبارة النحوية الدالة بصورتها الظاهرة في سؤال الأم وفي إجابة الابن، كما حققت القوة الإنجازية مطلبها التداولي في صيغة السؤال المباشر ذي المعنى الحقيقي للاستفهام. غير أن الحوار ينحرف بالمتلقي إلى معنى آخر ضمني حققته الزيادة اللفظية الناجمة عن خرق قاعدة الكم وفق قانون غرايس (Grice)، وهذه الضمنية تمثلت في توافر بعدين آخرين لطبيعة الاستلزام الحواري، هما:

(1) المعاني العُرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.

(2) المعاني الحوارية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية[3].

فعبارة (اللبنانيون أيضا مروا بحرب)، تقتضي معنى عُرفيا مضمنا في سؤال الأم (بوسنية؟) وهو أن البوسنيين مرّوا بحرب وما زالت هذه الحرب مستمرة، كما أن عبارة (وهي وأهلها هنا) تقتضي معنى متضمنا في سؤال الأم أيضا، وهو أن حال البطل ووالدته، يشابه حال البطلة وعائلتها في أن كليهما هرباً من الحرب في بلادهما.

(1) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص42-43.

(2) البار، عبد القادر، "الاستلزام الحواري وديناميكية التخاطب في مفهوم جرايس"، *مجلة مقاليد*، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع14، 2018، ص123.

(3) البار، "الاستلزام الحواري وديناميكية التخاطب في مفهوم جرايس"، ص124.

وتفضي الزيادة في إجابة البطل إلى إثارة نقطة مهمة كشفت عنها مقولة الأم (مرت بحرب ولم تُغتصب أو تُقتل) التي جاءت في سياق سؤال بلاغي، وهنا يظهر معنى السؤال تعجبيا في بنيته السطحية، غير أن المعنى الحواري العميق يكشف عن تذكر حادثة أليمة عانت منها الأم وهي قتل ابنتها على يد قتلة مغتصبين في بلادها، مما يجعلها تشفق على وضع هذه الفتاة دون أن تظهر ذلك في صريح قولها، وتأتي الإضافة في قول ابنها (مولى) لتعزز النظرة الإيجابية لتلك الفتاة، مع لفت انتباه الأم إلى ديانة (هالة) وهي المسيحية، وهنا تبدأ لحظة الصراع الحقيقي بين الأم المسلمة وهالة المسيحية، فرفض الأم ظهر من خلال اختلاف ديانة الفتاة عن ديانتها وليس بسبب ما عانته من ويلات الحرب أو اختلاف أصل كل منهما. ولا غرو ما لهذا الخرق الناجم عن الزيادة الكمية لصيغة الحوار من أهمية تداولية في تحديد وجهة النظر لكل من المتحاورين، تلك التي تعجز عن كشفها العبارات بصورتها الظاهرة وإنما تكشفها المعاني الضمنية من خلال السياق الذي وردت فيه.

أما الخرق الناجم عن النقصان في الإجابة أو عدم إعطاء القدر الكافي منها، فتظهر بصورة واضحة في حوار (هالة) مع عائلتها، ولا سيما عندما اكتشفوا علاقتها بـ(مولى) البوسنيّ، ومثاله:

"ران صمت ثقيل بعد جلوسها، قطعه الأخ الأكبر بأن سألها: أين كنتِ؟

رفعت نظرها إليه: زرتُ أصدقاء.

أعاد السؤال: كل هذا الوقت!

فلم تجب.."[1].

يتشكل المعطى اللغوي لحوار الأخ فاتحة لخلق جو من الصراع بينه وبين شقيقته، إذ إنّ محتوى السؤال يقتضي أن هالة كانت خارج البيت، وبمجرد عودتها فاتحها الأخ بسؤاله ذلك، علّه يلمس منها إجابة محددة وواضحة، ثم يأتي الردّ من قبلها مبتسراً غامضاً مبهماً، حيث تقدم عبارة "زرتُ أصدقاء" إجابة ملغزة، فلم تحدد من هم أصدقاؤها، ولم تعرّف بطبيعة الصداقة التي تجمعها بهم، وفي هذا الخرق دلالة نصية مهمة تفرض على الطرف الأول المتكلم متابعة الحديث متعجباً من طول تأخيرها، فيأتي الصمت المطبق من جانبها خرقاً ثانياً لقاعدة الكم، وبدهي أن مثل هذا الخرق في نص الحوار مقصود، ذلك أنه يفتح المجال إلى لغة أخرى مسكوت عنها تحمل دلالة الرفض والغضب من جانب هالة وتحدد

(1) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص65.

طبيعة علاقتها بهم، وهذه اللغة الثانية هي المحمول الدلالي لتداولية السياق المنجز بين أطراف الحوار، "علماً بأن النص في هذه الحالة يعتبر فضاء مفتوحا ونشطا، ذلك أن المقتضى أو المضمر يعتبر عنصراً غائباً له وجود، وكأن المتكلم قد قام بنطقه"[1]. وبهذا ينفتح هذا الخرق الكمي على سلسلة من الانتهاكات اللغوية الأخرى التي يستحضرها نصّ الخطاب، ويومئ كذلك إلى اشتداد مرحلة المواجهة الفكرية بين (هالة) وعائلتها ممثلة بأبيها وأخوتها.

يستنتج من ذلك أن خرق قاعدة (الكم) في الرواية تسير في الأطر الآتية:

– توظيف الخرق الكمي الناشئ عن زيادة في الإجابة المطلوبة؛ بهدف لفت الانتباه إلى معنى آخر، مع الحفاظ على المعنى الأول.

– توظيف الخرق الناشئ عن نقصان ملحوظ في الإجابة؛ بهدف التعتيم والتشويش، وعدم إبداء الرغبة في متابعة الحوار لدى المخاطَب.

– الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الشخصيات المتحاورة ومدى رغبتها أو عدمه في متابعة الحوار، وهذا يفضي أيضا إلى فهم الميول الفكرية والنفسية لها.

(1–2) خرق قاعدة النوع

ينشأ الصراع بين الشخصيات في هذا النوع من الخرق من مقولة يطلقها المتكلم وهو غير متأكد من صدق ما يقول، أو لم يبذل جهدا في إثبات نظريته بدليل أو برهان يستند عليه، ويشكل الحوار بين (هالة) وأخيها الأصغر مثالاً واضحاً على هذا النوع، لا سيّما إذا علمنا موقف أهلها الرافض من فكرة إقامة علاقة مع مسلم بوسنيّ وهي المسيحية الملتزمة من لبنان، وتبدو هذه العلاقة الآثمة من وجهة نظر أخيها بؤرة نصية ترتكز عليها بنية الحوار بل تتفاقم لتصل إلى ذروة متأزمة لا يمكن فصمها إلا بالقوة والفعل، ومثال ذلك عندما حاول الأخ الأصغر إقناع (هالة) بأن المسلمين هم السبب في مقتل والدتهما:

"ولكنك نسيت، إن مسلما هو الذي قتلها.

تماسكت وردّت: ما أدراك أنه مسلم، إنه قنّاص، القنّاص ديانته القتل.

قال: كان مسلماً.

(1) راغين، بوشعيب مسعود، "دلالة الاقتضاء بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة"، *مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية*، المدينة المنورة، م7، ع17، 2019، ص437.

سألت: ما أدراك؟

قال بغيظ: من يقتل مسيحية تعبر الطريق غير قنّاص مسلم!

ردت بهدوء: لم يكن يدري أنها مسيحية، ونحن لا ندري إن كان مسلما، وعلى كلّ فنحن الآن لسنا في لبنان"[1].

يطرح الحوار السابق طابعاً تشكيكياً في صحة تلقي خبر مقتل والدة كل من هالة وأخيها على يد مسلم، فانتهز الأخ حادثة مقتل والدته في لبنان ليلقي باللائمة على المسلمين الذين من طابعهم القتل والتدمير، ولمّا كان الخبر الذي أدلى به غير صحيح أو لم يدلل بدليل أو برهان يثبت صحة ما قال، نجد الطرف الآخر (هالة) يقدم بيانا بعدم صحة قول أخيها، فجاء ردّها في صيغة استفهام استنكاري (وما أدراك أنه مسلم؟) ليشكل قولها قوة إنجازية للفعل اللغوي تهدف به التأثير على أخيها بالعدول عن رأيه أو حجته الضعيفة، فأردفت هذا الرفض بتقرير إنجازي آخر للفعل القولي عندما حكمت على قاتل أمها بالقنّاص، ويبدو تفسخ العلاقة التواصلية بين الطرفين عندما رفض الأخ تصديق حجتها، مؤكدا نظريته التي ترسخت في ذهنه وهو الحكم على المسلمين بأنهم قتلة معتمداً في ذلك على تجارب الحرب التي شهدها في بلده لبنان، فعمم هذا الحكم كذلك على جميع المسلمين في بقاع العالم أجمع. ولما كان تلقي نظريته مرفوضا لدى هالة جعلتها تنهي حوارها بالقول بأنهم ليسوا في لبنان وإنما في بلد آخر من الصعب فيه أن يرتكب مسلم جريمة قتل دونما سبب مشروع.

يتضح مما سبق الخرق الواضح لقاعدة النوع أو الصدق في قول الخبر وتصديقه من قبل الطرف الآخر، فكلا الطرفين رافضان؛ فأما الأول فرفضه نابع عن اختلاف الديانة بالإضافة إلى الحقد الكامن في نفسه إزاء أفعال المسلمين في بلاده، وأما الثاني فرفضه قائم على عدم تصديق رأي الأول انطلاقاً من عاطفة حميمية بدأت تتغلغل في فكره وقلبه، مما يجعل مقاربة النص الأدبي تداولياً مشروطاً بـ"الوقوف على العبارات اللغوية واستخراج الأفعال منها، والقيام بتصنيفها، وتبيان دلالتها ومعانيها الضمنية ومن ثم دراسة الاستلزام الحواري بربط الأفعال اللغوية بالسياق الذي أنجزت فيه لمعرفة المعنى الحقيقي للكلام"[2].

(1) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص37.

(2) كعبش، ريمة، "نظرية الاستلزام الحواري- المفهوم والمبادئ"، *مجلة الخليل في علوم اللسان*، كلية الآداب واللغات، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، م1، ع1، 2021، ص63.

فسياق المقام الذي أنجزت فيه الأفعال الكلامية في الحوار السابق اقتضت من طرفي الحوار تجاوز قاعدة الصدق تجاوزا ملحوظا، وهذا ما أفضى إلى مزيد من الصراع الخارجي بينهما.

ويأتي الخرق النوعي في الحوارات التي جرت بين (هالة) وأخوتها، تأكيدا على عدم تحرّي الصدق في صحة القول من قبل الإخوة، وهو يتخذ أشكالا عدة، ومثاله حوار الأخ الأصغر مع شقيقته عندما بادرها بالسؤال عن سبب تأخرها:

"–أين كنتِ؟

– ما شأنك أنت!

– ألأنني أصغرُ منك..أنسيتِ أن لك أبا وأخوين أكبر منك..هم سألوا عنك.

– لا لأنك أصغر، ولكن لأنك غيري"[1].

يستبطن الحوار السابق بين هالة وأخيها الأصغر قوة تأثيرية لدى كل منهما، فالأخ الأصغر بادر بسؤال مباشر يحمل في طياته الغضب والاستنكار، وهذا ما جعلها ترد عليه بصيغة سؤال استنكاري أيضاً يُفهم منه رفضها الإجابة عن سؤاله. ويبدو الخرق في ردّه عليها عندما فهم من صيغة الرفض لديها أنه الأصغر سناً بين إخوته وهذا ما جعله يردف تعليله بأن أخوتها الكبار سألوا عنها، وحتى تثبت له أن هذا ليس مقصودها من رفضها الإجابة بادرته بتوضيح السبب وهو اختلاف فكر الأخ عن طريقة تفكيرها فلا يوجد بينهما أيّ رابطة تجمعهما سوى رابطة الدم.

وفي هذا التوجيه المقصدي لصيغة الحوار يظهر أن قول الطرف (ب) وهو هالة فُهم خطأ من قبل الطرف (أ) وهو الأخ الأصغر، وقد دلنا سياق الحال على فهم (أ) من خلال أسلوب الردّ لديه، وحتى يلفت الطرف (ب) إلى مقصده الحقيقي بادر فورا إلى تصحيح وجهة نظره ليتحقق له إيصال رسالته بصورة واضحة دونما تعتيم أو تشويه.

ويمكن أن يأتي خرق هذه القاعدة النوعية بأسلوب التهكم، ويقصد به: "أن يصرّح المتكلم بخطاب ظاهر الكذب للمخاطَب الذي يعلم أن هذا الكلام لا يطابق ما يفكر به المتكلم، ويعلم أيضاً أن المتكلم لا

(1) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص17–18.

يرفض التعاون في الخطاب، وأنه يسعى إلى إيصال قصده بطريقة غير مباشرة"[1]، ومثاله في الرواية الحوار الذي دار بين هالة وأخيها الأكبر عندما التقته في المعرض صدفة بصحبة مولى، وكان أخوها مع صديقته:

"–رأيتكِ اليوم.

قالت: أعرف. وأنا رأيتك أيضاً.

وأكملت: ما الذي دفعك لمشاهدة معرض رسم، أنت لا تحب الفن.

...فوجد نفسه يقول: ربما ذهبت لأراك هناك.

ابتسمت: أو ربما هي التي أرغمتك على الذهاب.

سألها: من؟

قالت: صديقتك الفرنسية.

هز رأسه، ثم دمدم: وأنتِ! من أرغمك؟

قالت: تعرف شغفي بالفنون"[2].

تفتتح البنية الحوارية السابقة بإقرار كل من هالة وأخيها برؤية بعضهما بعضاً في معرض الرسم، وفي هذا الاعتراف تمهيد لمعرفة سبب زيارة المعرض لكل منهما، وهنا يتولد الخرق النوعي عندما يتجه المقصد الحقيقي للحوار في غير ظاهره اللغوي المباشر، فالدلالة الصريحة التي تنطق بها عبارة هالة عن سبب رؤية أخيها توجه الأخ إلى الإتيان بإجابة تخالف سياق المقام أو المتوقع قوله، فينشأ التهكم من قوله (ربما ذهبت لأراك هناك)، وهذا التصريح القولي يخالف مبدأ القصد من طرح الإجابة؛ إذ إنه أراد به تحفيز هالة على ذكر سبب زيارتها هي، وكأن الواجب هنا أن يطرح هو سؤاله عليها، لا هي، وعندما أدركت هالة إجابته البعيدة عن الصواب أو الحقيقة، بادرت بأسلوب تهكمي تفترض فيه أن صديقته هي التي أرغمته على الحضور، وهذه المقولة النصية تقتضي رؤية هالة لها، كما أنها جعلت أخاها في موقف المساءَل لا المسائل عن سبب رؤيتها معه في المعرض. وعندما تأكدت من صحة ظنونها بأسلوب التهكم

(1) كريم، عبد الزهرة دريول، والفتلي، حميد عبد الحمزة، "(الاستلزام الحواري) استراتيجية للتأدب في الخطاب اللغوي– مقاربة تداولية لخطب (نهج البلاغة)"، *حوليات آداب عين شمس*، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، م49، عدد يوليو، 2021، ص108–109.

(2) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص33.

جاءها سؤال أخيها عن سبب إرغامها على الحضور، وهنا تعود قاعدة النوعية إلى وضعها الصحيح في تحري الصدق في الإجابة، وهو حبها وشغفها بالفنون بعكس أخيها وميوله.

يستنتج من هذه الحوارات النصية أن قاعدة خرق النوع تسير في ثلاثة أطر:

– تضمن الحوار صيغا إنشائية استفهامية تستوجب طرح الإجابة التي قد تكون في الغالب الأعم خلافاً لمقصد المتكلم، أو على الأقل عدم تأكده من صحة ظنونه.

– تضمن الحوار صيغة تهكمية في طرح الإجابة هدفها لفت نظر السائل لأمر آخر لا يريد المجيب أن يظهره له، وإن كان يعنيه في مضمر السياق، وهو مصداق المقولة التداولية أن تقول خلاف ما تقصد.

– اتفاق طرفي الحوار على سيرورة مبدأ التعاون، مع ضرورة حدوث انتهاكات على أصوله وقواعده الأساسية؛ بهدف تصعيد الصراع من جهة والكشف عن أفكار الشخصيات من جهة أخرى.

(1–3) خرق قاعدة العلاقة

ترتبط هذه القاعدة بمقولة علاقة الخبر بمقتضى الحال، ويعرّفها إدواري العياشي بأنها "حدّ مقصدي، الهدف منها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، أي يراعي علاقة المقال بالمقام"[(1)]. ويدخل في هذه القاعدة آداب افتتاح الكلام وانتهائه، والحفاظ على موضوع الرسالة الكلامية للخروج بفائدة تواصلية واضحة، مع الحرص على احترام مقامات المتحاورين من غير الإخلال بمقصدية الرسالة اللغوية.

ويمثل الدكتور محمود نحلة لخرق قاعدة العلاقة بحوار بين رجلين:

أ– أين زيد؟

ب–ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل عمرو.

فما قاله (ب) بمعناه الحرفي ليس إجابة عن السؤال، ولكن السامع في ضوء المبادئ الأخرى للتعاون يسأل نفسه ما هي العلاقة الممكنة بين وقوف سيارة صفراء أمام منزل عمرو وسؤالي عن مكان زيد[(2)]. فتتولد بذلك جملة من الافتراضات والاحتمالات الدلالية التي لا تظهر في نص الحوار، فقد يريد (ب) أن يلفت (أ) لوجود سيارة صفراء أمام منزل عمرو التي قد تعود لزيد، وقد لا يرغب (ب) في إجابة سؤال (أ)

(1) أدراوي، *الاستلزام الحواري في التداول اللساني*، ص100.

(2) نحلة، *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، ص38.

لأنه غير مهتم بمكان زيد أو الحديث عنه، ويعود تفسير أمر هذه الاحتمالات إلى السياق الذي ينجز فيه الخطاب اللغوي، ويحدد مواقع المتكلمين وأحوالهم ومقاماتهم.

وقد كان لخرق قاعدة (العلاقة) حضور في البنية الحوارية لرواية خيط الدم، فقد يلجأ أحدهم إلى قول معين لا علاقة له بمضمون الخطاب، ليلفت نظر المتكلم إلى أمر آخر، فتغدو الدلالة الضمنية المستلزمة في نص الكلام حاضرة في السياق، ومثال ذلك سؤال الأم عن (هالة الصافي) لحظة دخول ابنها إلى البيت:

"وسألته: أكنت معها؟

سألها: من؟

تمتمت: المسيحية!

ابتسم لها، وقال: اسمها هالة الصافي..لو تدرين معنى الاسم، شرحته لك باللغة العربية.

انتفضت وابتعدت من جانبه، وقالت: لا أريد أن أسمع اسمها، ولا أن أعرف معناه.

"من الظلم أن تحقدي على فتاة لا تعرفينها ما ذنبها؟

ذنبها أنها مسيحية ألا يكفي؟

قال: لنا جيران مسيحيون في سراييفو وكانوا أصدقاء وكنت تحبينهم..."[1]

يستحضر الحوار السابق بين (مولى) ووالدته الحديث عن موضوع حبيبته اللبنانية (هالة)، وفيه نلمح خرقاً واضحاً في مستهل الحوار، وذلك عندما سألته عن سبب تأخره وهل كان معها، فمضمون السؤال من جهتها لا يقدم طلباً مباشراً لمعرفة الإجابة؛ إذ إنها كانت تدرك الحقيقة في قرارة نفسها، فالمعنى المباشر الذي يظهره السؤال يستبطن دلالة غير مباشرة أو مستلزمة وهو التأهب لخوض معركة صراعية بينهما، وعندما بادرها بالسؤال عمّن تقصد، –وهو يعلم في قرارة نفسه الإجابة– أجابته (المسيحية) وهنا ينفتح الخرق الواضح لقاعدة العلاقة؛ إذ إنها قدمت إجابة ملغمة ترمز من ورائها إلى لفت انتباهه إلى سبب رفضها، وهنا تأتي إجابته لتغيير سياق الحال عندما أشار إلى اسمها من باب ضرورة احترام المتحدّث عنها، وعدم غمزها بديانتها، وهذا التغيير بحد ذاته يستبطن دلالة غير مباشرة أو مستلزمة وهو رفض الابن سلوك والدته وأسلوب نظرتها تجاه حبيبته.

(1) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص70.

ويأتي الخرق الثاني لقاعدة (العلاقة) في الجزء الثاني من بنية الحوار، عندما كشفت الأم عن نيتها تجاه الفتاة، فاتخذ ابنها دور المدافع عن (هالة) عندما أقر بأسلوب خبري ظلم حكم الأم عليها ونعتها بأمر لا ذنب للفتاة به، وعندما ردّت الأم بصورة عدائية هجومية (ذنبها أنها مسيحية)، يأتي رد الابن بأسلوب يخرق فيه قاعدة العلاقة، وذلك عندما حوّل الحديث عن (هالة) إلى الحديث عن المسيحيين في سراييفو الذين كانت للأم معهم علاقة طيبة، وكأنه بهذا الرد أراد أن يلفت نظر الأم بأن المسيحية لم تكن يوما السبب في كراهية الناس، فانطلق هنا من التخصيص إلى التعميم، ولعله في هذا التحول أراد أن يقنع والدته بوجهة نظره من جانب، ومن جانب آخر تحويل الانتباه عن الفتاة التي أحبها حتى لا يسمع كلاماً سيؤذي مشاعره، ويكون سبباً في تصعيد الصراع بينه وبين والدته.

وفي موضع آخر من الرواية يتحقق قانون خرق (العلاقة) في حدث سؤال المحقق (هالة) عن المتسبب في طعنها بالخنجر:

"–هل تريدين أن تشتكي على الأب أو الأخوة؟

هزت رأسها ثانية بالنفي

قال: يجب أن أسمع ذلك لفظا.

تمتمت: لا أشتكي على أحد.

سألها: وصديقك البوسني!

قالت: لا علاقة له بالأمر، وهمست: له علاقة بالحياة وليس بالموت.

أغلق الملف، وقال: إذن أنت لا تشتكين على أحد، هذا ينهي التحقيق معك.

استمهلته: بلى، لديّ شكوى، ولكن لا تملكون إزاءها شيئا.

وقف وحدق فيها: شكوى على من؟

تمتمت وكأنها تحادث نفسها: إني أشكو وأشتكي على الحقد والتعصب والكراهية، على الحرب هي الجانية"[1].

(1) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص93.

يتآزر خرق الكم والعلاقة في الحوار السابق، فيتمثل الخرق الكمي في عدم إفادة (هالة) بحقيقة الجاني واكتفت بالصمت، وعندما أشار عليها المحقق بإعطاء إجابة واضحة أجابت بالنفي، تغطية على الفعل المنكر الذي أقدم عليه إخوتها بحقها.

أما خرق قانون العلاقة فيتخذ منحى مغايرا في هذا النموذج، فتظهر الأسئلة موجهة بصورة مباشرة إلى (هالة) لمعرفة الجاني الحقيقي، ويأتي الجواب على شكل مراوغة فلسفية اعتمدت عليها لتحوّل نظر المحقق عن التفكير بالمجرم إلى التفكير في فلسفة الوجود لديها، فعندما سألها المحقق عن صديقها البوسني، أجابت بالنفي كذلك، ثم أردفت بهذه الإجابة قولاً فلسفياً لما قالت (ليس له علاقة بالموت وإنما له علاقة بالحياة)، وفي هذه المقولة تتجه العبارات من معانيها الظاهرة إلى دلالة استلزامية يفهمها قارئ الرواية، فهو سبب للحياة بالنسبة لها، ويشكل قطبا الحياة والموت بعدا متنافرا، فعائلة هالة التي يفترض أن تكون سببا للحياة والعيش بهدوء تصبح وعلى المستوى الظاهر سبباً لموتها وإنهاء حياتها ظلماً، أما صديقها البوسني الذي يفترض أن يكون سببا في موتها لما حصل مع أخته وقتلها على يد المعتدين المسيحيين، يصبح على المستوى العميق سببا للحياة والتعلق بها.

ويؤكد ذلك عندما اتخذت (هالة) من إجابتها عن سؤال المحقق بوجود شخص تريد أن تشتكي عليه، ذريعة لتلقي بوجهة نظرها الرافضة للعنصرية والخيانة والحرب، فيبدو الخرق هنا من عدم ملاءمة الإجابة للسؤال المطروح، فلما كان السؤال واضحاً ومحدداً ومباشراً جاءت الإجابة على شكل مناورة فلسفية معممة، إذ إن الجاني الحقيقي هو معنى من المعاني وليس ذاتاً مجسماً كما هو المفروض أن يكون.

يستنتج من ذلك أن خرق قاعدة العلاقة تسير في الأطر الآتية:

– تمركز هذا الخرق في حوارات كل من مولى ووالدته، وهالة مع المحقق؛ بهدف عدم الرغبة في مواجهة السائل لدى الطرف الأول، أو عدم الرغبة في إعطاء الحقيقة المباشرة لدى الطرف الثاني.

– اتصال خرق العلاقة بمقام الشخصية المحاوِرة، فالمقام أو المكانة الاجتماعية هي الدافع لتحديد هذا النوع من الخرق والالتزام به.

– العلاقة بين المتخاطبين تبدو متحفظة يكتنفها بعض السرية.

(1-4)خرق قاعدة الجهة(الطريقة)

تختلف قاعدة الجهة أو الطريقة عن سائر القواعد السابقة في أنها لا ترتبط بما قيل أو بما يُقال على صعيد النص الحواري، وإنما تتجه إلى الكشف عن مُراد القول، وبالطريقة التي يُقال بها أيضاً، سعياً إلى تحقيق الوضوح في المحاورات اللغوية، وحتى يكون الحوار واضحاً مباشراً يجب اتباع الشروط الآتية[1]:

- لتحترز من الخفاء في التعبير.
- لتحترز من الاشتباه في اللفظ.
- لتتكلم بإيجاز.
- لترتب كلامك.

ويمكن التمثيل على هذه العلاقة بالمثال الآتي:

أ- ماذا تريد؟

ب-قم، واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق[2].

ويتقاطع خرق الجهة في المثال السابق مع خرق قاعدة الكم التي تشترط فيها أن يكون الكلام واضحاً ومؤدياً للمعنى المطلوب دونما زيادة أو نقصان. وفي كلا النوعين تجري أشكال الخرق في النص الروائي بصورة مجازية؛ ذلك لأن الرواية فن أدبي يعتمد بالدرجة الأولى على اللغة الإبداعية إلى جانب اللغة الواقعية المباشرة، فانتقاء الأمثلة على هذا النوع من الخرق يحتاج إلى تفكر وتدبر للوصول إلى حقيقته.

تبدو الانتهاكات اللغوية لقاعدة الجهة حاضرة في حوار (مولى) مع (هالة)، ولا سيما بعد أن توطدت علاقة كل منهما بالآخر، ويعود سبب ذلك إلى رغبة تعرف كل منهما بالآخر، ومعرفة ما يدور في ذهنيهما، ويبدو حوار خرق الطريقة من جهة الالتباس والغموض ظاهرا في المثال الآتي:

"سألته: ماذا كتبت؟

قال: معرفتك بما أكتب يتوقف على معرفتي إن كنت ستبقين أم ستذهبين.

---

(1) عبد الرحمن طه، *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص104.

(2) نحلة، *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، ص39.

التفّت حول المقعد وجلست بجانبه وهمست: ها أنا أبقى ماذا كتبت؟

تطلع في دفتره وقرأ لها: الأرض تئن والسماء لائذة بالصمت"[1].

يكشف الحوار السابق عن ثقافة كل من الشخصيتين ومدى تقبل كل منهما للآخر، فالأسلوب الاستفهامي الذي بادرت به هالة عن طبيعة ما يكتب، يتطلب إجابة محددة وواضحة ومختصرة، غير أن الإجابة انحرفت عن مسار السؤال فشكلت خرقاً واضحاً لقاعدة الطريقة التي يسنها مبدأ التعاون، فإجابة (مولى) دلت دلالة واضحة على قصدية التمويه ومراوغة السؤال حتى يطمئن إلى تقبلها له وإلى ما يقرأ، أو حتى للثقافة التي تحلى بها، فهو يفترض مسبقاً جانب الرفض من قبل هالة لو علمت بموضوع كتابته، فآثر أن يمهد لها بحقيقة ما يكتب حتى يستغل وجودها إلى جانبه أكثر وقت ممكن، وبعد الاطمئنان إلى إجابتها الثانية "ها أنا أبقى"، أدرك رغبتها الشديدة في معرفة محور كتابته، ممّا يجعل حلقة الوصل متصلة بينهما وهو ما أراده مولى بذلك. ولعل إجابته الثانية بعبارة أدبية مباشرة تعطي انطباعاً عاطفياً يتسم بالانهزامية وشعور القهر، فيسهم ذلك في ربط الشخصيتين برباط الغربة والمعاناة من قسوة الحرب في بلديهما، كما أنه يكشف عن مستوى الثقافة لدى كل منهما فكلاهما محبّ للأدب والفنون مندغم فيه.

وفي موضع آخر يبدو الخرق ناجما عن التباس معنى السؤال مع صيغته، إذ تتكاثف الإيحاءات الشعورية في قول المتكلم، حتى يبلغ تحديد إجابتها مرهون بمعرفة قصدية السؤال، ومثال ذلك الحوار الدائر بين مولى وهالة:

"تأملا المشهد حولهما. سألته: أتحب الخريف؟، تطلع إليها: وأنتِ في ربيع العمر. قالت: أحب ألوان الخريف. أحببتها في باريس أكثر، ثم، كيف نقدر أن نحدد فصول حياتنا، النهاية وحدها، تحددها لنا"[2].

يشحن الحوار السابق حالة من الشعور اندغمت في صيغة القول، إذ جمع القول بين رمزية فصلي الخريف والربيع، وتحديد السّن، فالسؤال عن الخريف يقتضي الإجابة عنه بالإيجاب أو النفي، غير أنه بادرها بصيغة خبرية ملتبسة عندما أشار إلى أن محبته للخريف متوقفة على كونها تتمتع بالشباب والعنفوان، والأسلوب الخبري هنا يحمل دلالة مستلزمة تحمل القارئ على الاعتقاد بأن الفصول لا يمكن تحديد محبتنا لها إلا إذا ربطناها بشيء عزيز يستشعر المرء راحته وجماله في آن.

(1) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص22-23.

(2) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص59.

ولم تنتظر هالة منه جواباً شافياً؛ لأنها تعلم بأن منحى السؤال اتخذ مساراً آخر فجعلت تبدي رأيها بفصل الخريف، وهنا كان التزامها بمبدأ التعاون واضحا؛ فكأنها هي من سألت السؤال وأجابت عنه بنفسها، واستطردت بعبارة فلسفية عن فلسفة الحياة والموت، ردّا منها على جواب مولى، ولتبقي سياق الحديث بينهما متصلا. ويدل ظاهر الحوار أن كلا الطرفين ملتزم بالحفاظ على مبدأ التعاون غير أن الخرق في أحد قواعده أمر ضروري، فإذا "ما أردنا ترسيم الحدود بين التعاون والاستلزام وعلاقتهما، فيمكن توصيفها بأنه علاقة دائرية، فما فارق تحقيق المبدأ يكون استلزاماً والعكس"[1]. ويمكن أن نعلل ذلك بطبيعة الجنس الروائي الذي يستلزم مثل هذه الانتهاكات اللغوية وسيرورتها.

وفي أحيان أخرى يبدو الخرق في الجهة وسيلة يتخذها الكاتب ليفصح عن وجهة نظر الشخصية المتحاورة، وهذا يستدعي منه الإفاضة في شرح رأيه ومن ثم الإخلال بالإيجاز الذي هو شرط أساسي لتحقيق قاعدة الجهة، ومثاله الحوار الذي دار بين (مولى) و(هالة):

"– قال: لو عرفت لحظة لقائنا الأول بأنني مسلم، هل كنا معا الآن؟

..... صمتت برهة، ثم أكملت: ما كنتُ لأسأله لك، ولا أسأله لنفسي... لماذا علينا أن نحمل هذا الإرث البشع. سأقول لك: أمي لم يقتلها مسلمون، وأختك لم يغتصبها ويقتلها مسيحيون. كلتاهما كانت ضحية حرب. الحرب قتلت أمي، وقتلت أختك. الحرب لا دين لها. دينها القتل والدمار"[2].

يفترض السؤال الذي سأله (مولى) عدة دلالات، ويبني سلسلة من الافتراضات التي ستدور في ذهن (هالة) والتي تستدعي منها التفكير ملياً في طريقة الإجابة، فالأسلوب هنا أهم من إجابتها بـ(نعم) أو (لا)، مما جعلها تتجاوز الإجابة المباشرة، وتفكر في الطريقة التي ستواجه بها قول (مولى)، فكان أن انكشفت الإجابة عن طابع فلسفي معمم، فاتخذت من طرح السؤال وسيلة لتنقذ نفسها من شرك الإجابة، لأنها لو قالت (نعم) ستحمّل نفسها مسؤولية هذه العلاقة والالتزام بها وهما ما زالا في بدايتها، أما لو قالت (لا)، فإنها ستخسر علاقتها بمولى وهي التي وجدت فيه الراحة والاطمئنان، لذلك راوغت بطريقة السؤال مفندة سؤاله تاركة المجال لنفسها لتظهر إجابتها بأسلوب إعطاء وجهة النظر، ويمكن أن نقارن بين المحتوى المباشر لظاهر اللفظ والمستلزم الدلالي القابع خلفه بما يأتي:

(1) المشهوري، محمد بن عبد الله، *التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية*، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، 2019، ص265.

(2) أبو حمدان، *خيط الدم*، ص56.

- "لماذا علينا أن نحمل هذا الإرث البشع": تستلزم معنى استنكار الحرب والقتل.
- "أمي لم يقتلها مسلمون وأختك لم يقتلها مسيحيون": تستلزم معنى أن الحرب هي التي تسبب الكراهية، ولا دخل للدين أو المعتقد بها.
- "الحرب لا دين لها. دينها القتل والدمار": تستلزم معنى الإقرار بكراهية الحرب، وفيه معنى تشابه الظروف التي مرّ بهما كل من هالة ومولى.

ومع تعاضد هذه الدلالات ومحتواها المستلزم يمكن أن نستنتج كراهية (هالة) للسؤال الذي طرحه عليها (مولى)، وكأنها أرادت في ظاهر القول أن تخبره (وما شأنك أنت وهذا الأمر، ليس لك أن تسأل هذا إطلاقا)، غير أنها التزمت بقانون التأدب في القول الذي يحتم عليها أن تغير من طريقة إجابتها، لتجعل مستلزم القول مبطنا يفهمه القارئ.

ممّا سبق، يتلخص خرق قاعدة (الجهة) بالأطر الآتية:

- ينشأ الخرق على قاعدة الجهة من عدم رغبة المخاطَب في مواجهة المخاطِب بالصيغة المباشرة، لأسباب تعود إلى الموضوع نفسه، والصيغة اللغوية التي عُبّر عنها.
- تتخذ الصيغة التي يأتي عليها الخرق في قاعدة الجهة طابعا فلسفيا، مما يكشف عن مستوى الثقافة لدى المتحاورين ومقامهم الاجتماعي.
- اختلاف الصيغة اللفظية في خرق قاعدة الجهة لا يعني تغيير الموضوع، وإنما معالجته بأسلوب خبريّ آخر يضمن فيه المحاور سيرورة الرسالة الموجهة واتصاله بالطرف الآخر للحوار.

الخاتمة

وبعد ما أفرزته اللسانيات التداولية من اقتراحات تخص نظرية الاستلزام الحواري، ومحاولة استغلال القواعد والمبادئ التي تضمنتها في رواية "خيط الدم"، تبيّن أنّ الاستلزام الحواري في رواية "خيط الدم" شكّل حضورا واسعا في النصوص الحوارية، فكان منها الاستلزام القائم على احترام مبدأ التعاون، أما الثاني وهو الأكثر انتشارا فهو الاستلزام القائم على خرق مبدأ التعاون، ولأن الرواية موضع الدراسة اتسمت بوفرة العنصر الحواري فيها، جعل الدراسة غنية بانتخاب نماذج الخرق ومقاربتها تداولياً، لا سيّما تلك الحوارات التي دارت بين (مولى) وأمه، وبين (هالة) وأسرتها، فهي تمثيل واضح لرؤية الشخصية الروائية التي تسعى إلى توجيه مقصدها الدلالي بأسلوب غير مباشر ينأى بها عن الخطابية المباشرة.

كما غلبت العناصر الحوارية القائمة بين شخصين على الحوارات بين الشخصيات المتعددة، وهذا ما جعل تعدد الأصوات في الرواية خافتا، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تركيز النص على شخصية كل من (مولى) و(هالة) بوصفهما بطلي الرواية، فكانت أغلب الحوارات تتم بينهما، أو بين واحد منهما وعائلته.

والجدير بالذكر أن الأشكال الأربعة لمبدأ الخرق تقاربت في عدد حضورها، وإن كان لكل واحدة منها مقصد تداولي خاص يحدده السياق وطبيعة الشخصية المتحاورة، فجاءت قاعدة (الكم) لتوجه الحوار بصورته المباشرة مع إخلال أو زيادة في حدود اللغة المطلوبة، وكانت قاعدة (النوع) متمحورة في تمثل صدق الإجابة أو عدمها ولا سيما في حوار كل من هالة مع أخيها، أو حوار مولى مع والدته. وكانت قاعدة (العلاقة) لتحدد طبيعة رؤية الشخصية لموضوع الحوار مع الأخذ بعين الاعتبار مقام الشخصية المحاورة، وأخيرا جاءت قاعدة (الجهة) لتشكل جمعا بين الطريقة التي يصدر بها الكلام، مع الاهتمام بمضمون القول، وهذه الأخيرة وجدناها تتداخل كثيرا مع الأشكال الأخرى وتندغم بها.

إن تعدد الانتهاكات اللغوية في رواية "خيط الدم" مرده إلى طبيعة الرواية وشكل بنائها، فكانت أقرب إلى البناء الدرامي الذي يعتمد بصورة أساسية على الحوار الخارجي، بالإضافة إلى مضمون الرواية وهو الصراع الناشئ من اختلاف عقيدة كل من هالة ومولى وأثر ذلك في تحديد علاقتهما بأسرهما، ويمكن القول إن فهم هذه الانتهاكات مشروط بحضور المتحاورين في النص اللغوي ومعرفة السياق الذي يعد الضابط الأساسي للوصول إلى مقصدية العبارة المنجزة في الخطاب الروائي.

المصادر والمراجع

أدراوي، العياشي، *الاستلزام الحواري في التداول اللساني*، ط1، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011.

إسماعيل، صلاح، *نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس*، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

البار، عبد القادر، "الاستلزام الحواري وديناميكية التخاطب في مفهوم جرايس"، *مجلة مقاليد*، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع14، 2018.

بدوح، حسن، *المحاورة: مقاربة تداولية*، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2012.

بوجادي، خليفة، *في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم*، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

جبر، فريد، والعجم، رفيق، ودغيم، سميح، وجهامي، "جيرار"، *موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب*، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.

أبو حمدان، جمال، *خيط الدم*، وزارة الثقافة، عمّان، 2018.

ختام، جواد، *التداولية أصولها واتجاهاتها*، ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2016.

بوخشة، خديجة، "الاستلزام الحواري في رواية "نبضات آخر الليل"- مقاربة تداولية"، *فصل الخطاب*، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، م7، ع26، 2019.

راغين، بوشعيب مسعود، "دلالة الاقتضاء بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة"، *مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية*، المدينة المنورة، م7، ع17، 1994.

رحماني، محمد قويدر، ووكال، فاطمة، "الاستلزام الحواري من لغة المنطق إلى المنطق اللغوي"، *المدونة*، كلية الآداب واللغات، جامعة البليدة2، الجزائر، م8، ع3، 2021.

روبول، آن، وموشلار، جاك، *تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب*، ترجمة لحسن بوتكلاي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2020.

سعاد، ميرود، "الاستلزام الحواري في سورة "طه"- تحليل تداولي وفق نظرية غرايس"، *المدوّنة*، كلية الآداب واللغات، جامعة البليدة2، الجزائر، م5، ع1، 2018.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي(ت626هـ/1229م)، *مفتاح العلوم*، تحقيق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.0

عبد الباقي، عباس محمد، وأحمد جمال الدين إبراهيم، "تحليل الخطاب في اللسانيات الحديثة– المقاربة التداولية نموذجا"، *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*، مركز الأبرار للأبحاث والدراسات الإنسانية، السودان، م10، ع2، 2021.

عبد الرحمن طه، *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.

عبد الرحمن، طه، *اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي*، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1998.

عكاشة، محمود، *النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)–دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ*، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013.

قدور، رندة، وابن أحمد، محمد، "الاستلزام الحواري قراءة في تعدد المصطلحات"، *إشكالات في اللغة والأدب*، جامعة تامنغست، الجزائر، م10، ع1، 2021.

بوقمرة، عمر، "قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن–دراسة نقدية"، *أمارات في اللغة والأدب والنقد*، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، م5، ع2، 2021.

كريم، عبد الزهرة دريول، والفتلي، حميد عبد الحمزة، "(الاستلزام الحواري) استراتيجية للتأدب في الخطاب اللغوي– مقاربة تداولية لخطب (نهج البلاغة)"، *حوليات آداب عين شمس*، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، م49، عدد يوليو، 2021.

كعبش، ريمة، "نظرية الاستلزام الحواري– المفهوم والمبادئ"، *مجلة الخليل في علوم اللسان*، كلية الآداب واللغات، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، م1، ع1، 2021.

لهويمل، باديس، "الاستلزام الحواري في الدرس التداولي تنظير وتطبيق"، *جسور المعرفة*، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، م5، ع4، 2019.

محمود، محمد شاكر محمد، وإبراهيم، إيهاب سعيد إبراهيم، "الاستلزام الحواري في مسرحية (مجنون ليلى) لأحمد شوقي– دراسة تداولية"، *بحوث كلية الآداب*، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر، م30، م117، 2019.

المشهوري، محمد بن عبد الله، *التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية*، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، 2019.

مناعي، البشير، وشن، دلال، "تداولية الاستلزام الحواري في الخطاب السردي، دراسة للاستلزامات الحوارية للأساليب الخبرية في رواية الدراويش يعودون إلى المنفى لإبراهيم الدرغوثي"، *مجلة الأثر*، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع28، 2017.

ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م)، *لسان العرب*، ط3، دار صادر، بيروت، ج12، 2019.

نحلة، محمود أحمد، *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2011.

يامنة، سامية، *تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي*، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، 2019.

References

‘Abd al-Bāqī, ‘Abbās Muḥammad, and Aḥmad Jamāl al-Dīn Ibrāhīm, "Taḥlīl al-Khiṭāb fī al-Lisānīyāt al-Ḥdītha al-Muqārabah al-Tadāwlīyah Namūdhajān", *Majallat al-‘Ulūm al-Lnsānīyah wa al-Ṭabī‘īyah*, vol.10, no.2, 2021.

Adrāwī, al-‘Ayyāshī, *al-Iāstilzām al-Ḥiwārī fī al-Tadāwl al-Lisānī*, 1st edition, Dār al-Amān, al-Rabāṭ, Manshūrāt al-Ikhtilāf, Algeria, 2011.

Badūḥ, Ḥasan, *al-Muḥawārah: Muqārabah Tadāwlīyah*, 1st edition, ‘Ālam al-Kutub al-Ḥadīth, Irbid, 2012.

al-Bār, ‘Abd al-Qādir, "al-Iāstilzām al-Ḥiwārī wa Dīnāmīkīyat al-Khiṭāb fī Mafhūm Grice", *Majallat Maqālīd*, Faculty of Arts and Languages, University of Kasdi Merbah, Ouargla, Algeria, vol.14, 2018.

Bujādī, Khalīfah, fī al-Lisānīyāt al- *Tadāwlīyah, ma‘a muḥāwalah Ta’ṣīlīyah fī al-Dars al-‘Arabī al-Qadīm*, 1st edition, Bayt al-Ḥikmah, Algeria, 2009.

Bukhishh, Khadījah, " *al-Iāstilzām al-Ḥiwārī* fī Riwāyat" Nabaḍāt Akhir al-Layl "Muqārabah Tadāwulīyah", *Faṣl al-Khiṭāb*, vol.7, no.26, 2019.

Būqmrh, ‘Umar, "Qawānīn al-Khiṭāb min Paul Grice ilá Ṭāhā ‘Abd al-Raḥman-Dirāsh Naqdīyah", *Amārāt fī al-Lughah wa al-Adab wa al-Naqd*, Faculty of Arts and literature, University of Hassiba Benbouali, de Chlef, Algeria, vol.5, no.2, 2021.

Abū Ḥamdān, Jamāl, *Khayṭ al-Dam*, Ministry of Culture, Amman, 2018.

Ismā‘īl, Ṣalāḥ, *Naẓarīyat al-Ma‘nā fī Falsafat Paul Grice*, Dār Qibā’ al-Ḥadīthah, Cairo, 2007.

Jabr, Farīd, al-‘Ajam, Rafīq, Dughaym, Samīḥ, and Jahāmī, Jīrār, Mawsū‘at Muṣṭalaḥāt ‘Ilm al-Manṭiq ‘inda al-‘Arab, 1st edition, Maktabat Lubnān Nāshirūn, Beirut, 1996.

Karīm, ‘Abd al-Zahrah Drīwl and al-Fatlī, Ḥamīd ‘Abd al-Ḥamzah, "(Iāstilzām al-Ḥiwārī) Istrātjīyah li al-Ta’dub fī al-Khiṭāb al-Lughawī-Muqārabah

Tadāwulīyah li al-Khuṭab (Nahj al-Balāghah)", *Ḥawlīyāt Ādāb ʻAyn Shams*, University of Ayn Shams, vol.49, July, 2021.

K‘bsh, Rīmah, "Naẓarīyat Iāstilzām al-Ḥiwārī al-Mafhūm wa al-Mabādi’", *Majallat al-Khalīl fī ʻulūm al-Lisān*, Faculty of Arts and Languages, University of aout 1955, Skikda, vol.1, no.1, 2021.

Khtām, Jawād, *al-Tadāwlīyah Uṣūluhā waittijāhātuhā*, 1st edition, Dār Kunūz al-Ma‘rifah, Amman, 2016.

Lhwaymil, Bādīs, “al-Iāstilzām al-Ḥiwārī fī al-Dars al Tadaūlī Tanẓīr wa taṭbīq”, *Jusūr al-Ma‘rifah*, Faculty of Arts and literature, University of Hassiba Benbouali, de Chlef, Algeria, vol.5, no.4, 2019.

Maḥmūd, Muḥammad Shākir Muḥammad, and Ibrāhīm, Īhāb Sa‘īd Ibrāhīm, "al-Iāstilzām al-Ḥiwārī fī Masraḥīyat (Majnūn Laylá) li Aḥmad shawqī-Dirāsah Tadāwulīyah", *Buḥūth Kullīyat al-Ādāb*, Faculty of Arts, Menoufia University, vol.30, no.117, 2019.

Mannā‘ī, al-Bashīr and Washn, Dalāl, "Tadāwulīyah alāstlzām al-Ḥawwārī fī al-Khiṭāb al-Sardī, Dirāsah li-Iāstilzām al-Ḥiwārī li al-Asālīb al-Khabarīyah fī Riwāyat al-Darāwīsh Ya‘ūdūn ilá al-Manfá li Ibrāhīm al-Drghūthī", *Majallat al-Athar*, Faculty of Arts and Languages, University of Kasdi Merbah, Algeria, no.28, 2017.

Ibn Manẓūr, Abū al-Faḍl, Jamāl al-Dīn Muḥammad bin Mukarram (711A.H./ 1311 A.D.), *Lisān al-ʻArab*, 3rd edition, Dār Ṣādir, Bayrūt,, vol.12, 1994.

Al-Mshhūrī, Muḥammad bin ʻAbd Allāh, al-*Tadāwulīyah al-Sardīyah fī Khaṭṭāb al-Uqṣūṣah al-Nisā’īyah*, 1st edition, Dār Kunūz al-Ma‘rifah li al-Nashr wa al-Tawzī‘, Amman, 2019.

Naḥlah, Maḥmūd Aḥmad, *Āfāq Jadīdah fī al-Baḥth al-Lughawī al-Mu‘āṣir*, 1st edition, Maktabat al-Ādāb, Cairo, 2011.

Qaddūr, Randah, and Ibn Aḥmad, Muḥammad, al-Iāstilzām al-Ḥiwārī Qirā'ah fī Ta'addud al-Muṣṭalaḥāt", *Ishkālāt fī al-Lughah wa al-Adab*, University of Tamanghasset, Algeria, vol.10, no.1, 2021.

Rāghīn, Būshu'ayb Mas'ūd, "Dalālat al-Iqtiḍā' bayna al-Dars al-Lughawī al-'Arabī al-Qadīm waal-Lisānīyāt al-Ḥadīthah", *Majallat Jāmi'at Ṭaybah li al-Ādāb wa al-'Ulūm al-Insānīyah*, vol.7, no.17, 1994.

'Abd al-Raḥmān, Ṭāhā, *al-Lisān wa al-Mīzān, aw al-Takawthūr al-'Aqlī*, 1st edition, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, Casablanca, Beirut, 1998.

'Abd al-Raḥmān, Ṭāhā, fī Uṣūl al-Ḥiwār wa Tajdīd 'Ilm al-kalām, 2nd edition, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, Casablanca, 2000.

Raḥmānī, Muḥammad Quwaydir, and Wkāl, Fāṭimah, "al-Iāstilzām al-Ḥiwārī min Lughat al-Manṭiq ilá al-Manṭiq al-Lughawī", *al-Mudawwanah*, Faculty of Arts and Languages, University of Blida2, Algeria, vol.8, no.3, 2021.

Reboul, Anne, Moeschler, Jacques, *Pragmatique du discours: De l'interpretation de l'enonce al'interpretation du discours,* translated into Arabic by Laḥsan Butaklāī, 1st edition, Dār Kunūz al-Ma'rifah, Amman, 2020.

al-Sakkākī, Yūsuf bin Abī Bakr bin Muḥammad (d.626 A.H. /1229 A.D.), *Miftāḥ al-'Ulūm*, edited by Na'īm Zarzūr, 2nd edition, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Beirut, 1987.

Su'ād, Myrwd, " al-Iāstilzām al-Ḥiwārī fī Sūrat" Ṭāhā ": Taḥlīl Tadāūlī Ūafqa Naẓarīyat Graice", *al-Mudawwnah*, Faculty of Arts and Languages, University of Blida2, Algeria, vol.5, no.1, 2018.

Ukāshah, Maḥmūd, *al-Naẓarīyah al-Brājmātīyh al-Lisānīyah (al-Tadāwulīyah) - Drāsh al-Mafāhīm wa al-Nash'ah wa al-Mabādi'*, 1st edition, Maktabat al-Ādāb, Cairo, 2013.

Yāmnah, Sāmiyah, Tadāwulīyah Siyāq al-Ḥāl fī al Fi'l al-Kalāmī, 1st edition, Dār Kunūz al-Ma'rifah li al-Nashr wa al-Tawzī', Amman, 2019.